جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة 1

كلّية الآداب واللّغات

قسم الآداب واللّغة العربية

ملخّص

محاضرات في مقياس:

النقد الأدبي القديم

مطبوعة بيداغوجية

موجّهة إلى طلبة السّنة الأولى ليسانس (ل م د).

المجموعة 01 (الفوج: 01، 02، 03، 04، 05)

أستاذ المقياس: د. إلياس بلّيح

السّنة الجامعية:

2022-2021

01

النّقد: مفهومه وتطوره

مفهوم النّقد عند القدماء:

يورد د. شوقي ضيف في مستهلّ كتابه: (النّقد) تعريفا للنّقد عند القدماء فيقول: «النقد تحليل القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية. ولم تأخذ الكلمة هذا المعنى الاصطلاحي إلاّ منذ العصر العبّاسي .. وقد كانت تستخدم بمعنى الذّم والاستهجان. واستخدمها الصّيارفة في تمييز الصّحيح من الزّائف في الدّراهم والدّنانير، ومنهم استعارها الباحثون في النصوص الأدبية ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيد من النصوص والرديء والجميل والقبيح وما تنتجه هذه الملكة في الأدب من ملاحظات وآراء وأحكام مختلفة» (ص09).

تطور النقد العربي وجغرافيته:

تشير د. ندى الطّائي إلى أنّ النقد العربي في مراحله الأولى (العصر الجاهلي) كان نقدا تأثريا يعتمد على الانطباع الذاتي البحت، دون اتكاء على عمليات ذهنية موجهة، ومن دون أسس نظرية، ثم جاء العصر الإسلامي فاصطبغ النّقد بالأحكام القيمية التي تعتمد الصّدق معيارا لها، ولما تقدم القرن الأول قويت نهضة الشعر –وإن بقي النّقد محافظا على روحه الانطباعية-، ونما وازدهر في العصر الأموي وذلك في ثلاث بيئات: (الحجاز، العراق، الشام)، أما عداها كفارس ومصر والمغرب فلم يزدهر فيها في هذا العصر أدب ولا نقد.

وقد تبع النقد مجريات الحركة الأدبية فاتجه أكثره إلى التفضيل بين الشعراء خاصة بين جرير والفرزدق والأخطل.

ونستطيع القول بإيجاز أن النقد في صدر الإسلام وفي العصر الأموي لم تظهر فيه مدارس نقدية واضحة المعالم، وأنّه قد ظل قريبا مما كان عليه في الجاهلية قائما على الذوق

جزئيا غير معلل في كثير من الأحيان. ولما جاء **العصر العباسي** ظهرت ثلاث طوائف تنظر في الأحكام النقدية وتناقشها وتضع المؤلفات النقدية (وهذا ما أشار إليه **شوقي ضيف** في مقدّمة كتابه الماتع في النّقد)، فالطائفة الأولى هي ***طائفة الأدباء*** من شعراء وكتاب والثانية ***طائفة اللغويين*** التي اهتمت برواية الشعر ونقده كالأصمعي، أما الطائفة الثالثة ***فطائفة المتكلمين*** التي أسهمت في تطوير أمور النقد والبلاغة.

وفي أواخر **القرن الثاني** للهجرة وبداية **القرن الثالث** ظهر لنا **ابن سلام الجمحي** بكتاب **طبقات فحول الشعراء**، الذي يشير إلى قضايا نقدية كالمفاضلة بين الشعراء والانتحال، ثم **الجاحظ** **بالبيان والتبيين والحيوان**، ثم **ابن قتيبة** في كتاب **الشعر والشعراء**.

وفي **القرن الرابع** ألف **ابن طباطبا** **عيار الشعر** و**قدامة بن جعفر** **نقد الشعر** وفيه الأثر اليوناني، فأصبح للنقد أسس ومناهج متبعة، وهذا ما أثمر كتابين جديدين وهما **الموازنة** **للآمدي** و**الوساطة** **للقاضي الجرجاني**، ثم ظهر ***النقد البلاغي*** على يد **عبد القاهر الجرجاني** في كتابه **دلائل الإعجاز** و **أسرار البلاغة** في **القرن الخامس** الهجري.

هذا وقد ظهر النقد في المغرب والأندلس متأثرا بالنقد في المشرق وظهرت مؤلفات منها **العمدة** **لابن رشيق المسيلي القيرواني** و**العقد الفريد** **لابن عبد ربه**. وهكذا تواصلت المؤلفات حتى زمن **ابن خلدون** (808 هـ) في **مقدّمته**.

:02

بيبليوغرافيا المصنّفات النّقدية في المشرق والمغرب والأندلس

أخذ النقد العربي في القرن الثالث الهجري ينزع إلى البحث والتأليف على أيدي ثلة من النقاد وعلماء الأدب، الذين خاضوا في الموازنات والموازين النقدية، كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، ثم بدأت التصانيف تتوالى حتى القرن الثامن في المشرق والمغرب والأندلس.

ونسعى في هذه المحاضرة (والتي سنفصّل محتواها عن بعد) إلى تتبع بعض المصنفات النقدية المهمة التي ألمت بأهم القضايا النقدية التي طرحها الخطاب النقدي القديم عبر القرون المتوالية، وسنحاول وضع بيبليوغرافيا لأهم هذه المصنفات.

أولا: في القرن الثالث:

1- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت232 هـ):

يعتبر هذا الكتاب أول محاولة جادة تمثلت في جمع شتات آراء سابقيه ومعاصريه في النقد العربي وتنظيمها تنظيما علميا، وكان بذلك واضع أول لبنة في النقد العربي، كما يعتبر أول كتاب في النقد وصلنا كاملا، وقد قسمه صاحبه إلى قسمين: القسم الأول؛ المقدمة وتحتوي على قضايا نقدية مهمة، تكشف عن مفهوم الشعر في ذلك العصر وطبيعته، ونقد الرواية وتحقيق النصوص (الانتحال) وتأريخ نشأة الشعر وعلوم العربية عند العرب.

أما القسم الثاني من الكتاب فيحتوي على تصنيف الشعراء إلى طبقات، جاهليين ومخضرمين وإسلاميين، ثم أشار إلى طبقة شعراء المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية، وطبقة شعراء يهود. لقد خطا ابن سلام في طبقاته خطوة لامعة في النقد، ومهد الطريق للنقاد من بعده.

2- كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت 255 هـ):

يعد كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين من أواخر مؤلفات الجاحظ، فكتاب الحيوان من أعظم كتبه، وأجلها شأنا، فقد حوى إلى جانب التعريف بالحيوان وكل ما يتعلق به موضوعات كثيرة تتصل بالفلسفة والعلوم الطبيعية والأدبية.

أما البيان والتبيين ففي جملته يتكلم عن البيان والبلاغة والخطابة العربية والشعر العربي، وقد وضعه الجاحظ في ثلاثة أجزاء.

والفكر النقدي مبثوث في الكتابين وفي بعض الرسائل أهمها ماهية الشعر وجوهره، ومصدر الشعر والسرقات الشعرية، وموضوعية النقد الأدبي، والشعر والطبع، وبناء لغة الشعر وغيرها من القضايا.

3- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276 هـ):

يعدّ هذا الكتاب من أهم الكتب النقدية في القرن الثالث بعد طبقات ابن سلام، وأهم ما يميزه هو منحاه في النقد، فقد احتوى كتابه على مقدمة نقدية جيدة تعد من بواكير النقد الأدبي، واقتصاره على مشاهير الشعراء دون غيرهم، ويختلف عن طبقات ابن سلام كونه يترجم للشعراء مراعيا التسلسل الزمني.

وما يهم هو مقدمتة النقدية التي احتوت على قضايا مهمة نذكر منها رأيه في اللفظ والمعنى، الحيادية في الحكم على الشعر والشاعر، بناء القصيدة وثقافة النقد، والحالات النفسية وعلاقتها بالشعر،الطبع و التكلف،القديم و الحديث.

4- كتاب البديع لابن المعتز (ت296 هـ):

يعتبر كتاب البديع "حسب النقاد " أول بحث منهجي في البلاغة والنقد والشعر"، وقد وضعه ابن المعتز سنة 274 هـ وهو يشتمل على خمسة أبواب تمثل فنون البديع الأساسية.

" كما يعتبر أول كتاب في تاريخ علوم النقد والبلاغة، يتناول الأدب تناولا فنيا... إذ نراه يدرس العبارة وينقدها، كما يتوقف عند الصور التعبيرية أو الأساليب البلاغية وقد أسس ذلك لوجود مقياس جديد في النقد الأدبي هو (المقياس البديعي) الذي أخذ يقيس الأدب بما يرد فيه من بديع".

ثانيا: في القرن الرابع:

1- كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (ت 322 هـ):

يعتبر كتاب عيار الشعر حلقة متممة لما جاء به ابن قتيبة وهو مقسم إلى قسمين أساسيين، مقدمة ومتن، فمقدمته تشبه مقدمة الشعر والشعراء فيها أشياء كثيرة عن النقد الأدبي، وتدور حول أربعة موضوعات هي تعريف الشعر، صنعة الشعر، فنون الشعر العربي وأساليبه ثم عيار الشعر ويقصد به الوسائل التي يعرف بها جيد الشعر من رديئه.

كما تكلم عن التشبيه وأدواته ومعاني الشعر والوحدة العضوية والخلق الشعري ومراحله والسرقة الشعرية والصدق وأنواعه وثقافة الشاعر، وحسب له كذلك اهتمامه بجماليات التلقي في الفن الشعري " وهذه رؤية جمالية متقدمة كثيرا بالقياس إلى عصرها".

2- كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت 337 هـ):

أول كتاب يحمل هذا العنوان وترد فيه كلمة نقد صريحة، ويرى صاحبه أنه " أول كتاب يؤلف في النقد"، وهو ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته.

وقد فصل قدامة بن جعفر "مذهبه في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتابه (الخطابة)، الذي ترجمه حنين ابن إسحاق في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري"، أما أهم الفكر النقدية الواردة في هذا الكتاب فهي تعريف الشعر، أسباب الشعر ومكوناته الرئيسية، أوصاف الشعر، طبيعة الشعر، الغلو والمبالغة في تناول المعاني.

لقد وضع قدامة بن جعفر مذهبا نقديا لنقد الشعر متأثرا بالثقافتين العربية الأصيلة والفلسفة اليونانية، فقد نهج قدامة في نقد الشعر نقدا علميا.

3- الموازنة بين الطائيين للآمدي (ت 371 هـ):

عنوان الكتاب هو:(الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وابن عبادة الوليد بن عبيد البحتري في شعريهما) كتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي، فكان موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التي تلم بالمعاني والألفاظ والموضوعات الشعرية، لهذا جاء بحثا في النقد واضح المنهج، وقد انطوى هذا الكتاب على مادة نقدية ثرية، تدخل في صميم النقد التطبيقي، هذه المادة تحتوي على أركان نقدية أهمها: الكشف عن السرقات، والقراءة الدقيقة، الموازنة، هذه الأخيرة تنقسم إلى أربعة أقسام:

أ- محاجة بين خصوم أبي تمام وخصوم البحتري.

ب- دراسة الناقد لسرقات كل شاعر منهما.

ج- نقده لأخطاء ومعايب كل منهما ثم لمحاسنه.

د- موازنة تفصيلية بين المعاني المختلفة التي تكلما عنها.

والحقيقة أنها تبقى موازنة منهجية من ناحية المفاضلة ومن ناحية استنباط الخصائص.

4- الوساطة بين المتنبي وخصومة للقاضي الجرجاني (ت 392هـ):

يعتبر كتاب الوساطة مثالا للنقد الأدبي المنهجي، فقد قسمه صاحبه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مقدمة يوضح فيها المؤلف منهجه العام في النقد تمهيدا للدفاع عن المتنبي أما القسم الثاني: فلا نرى فيه وساطة بين المتنبي وخصومه بل دفاعا عن الشاعر، ومنهج الناقد المدافع أنه إذا كان المتنبي قد أخطأ أو أحال أو سرق فقد فعل ذلك غيره.

ويأتي القسم الثالث والذي يمكن تسميته بالوساطة وذلك لأن الناقد تناول فيه ما عيب على أبي الطيب في شعره، وما أخذه عليه العلماء من مآخذ، يناقشه ويحلله ويفصل القول فيه.

وقد عالج الكتاب مجموعة من القضايا النقدية كالقديم والحديث، والطبع والصنعة، والسرقات وعمود الشعر.

ثالثا: في القرن الخامس الهجري:

1- كتاب العمدة لابن رشيق (ت 456 هـ):

هذا الكتاب واسع الشهرة في مجال النقد الأدبي، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته، وقد ألفه صاحبه " في جزأين وفي كل جزء عدة أبحاث قصيرة أطلق عليها أبوابا بلغت في جملتها مائة وستة أبواب، منها أربعة وأربعون في الجزء الأول واثنان وستون في الجزء الثاني يجمع بينهما خط واحد هو الحديث عن الشعر".

ومنهجه في الكتاب يقوم على الاجتهاد والنقل، فهو قد اخذ عن النقاد السابقين ولكنه اجتهد في هذا النقل وأبدى رأيه فيه. " وتدور موضوعات الكتاب بصورة أساسية الشعر فتبين فضله، وتتحدث عن طبيعته وصياغته وأوزانه وقوافيه، وألفاظه، ومعانيه ". وغيرها.

كما يمكن إدراج كتاب العمدة ضمن النقد النظري والتطبيقي، وقد تكلم عن عدة قضايا نقدية كمفهوم الشعر، والمطبوع والمصنوع، والقديم والحديث. والسرقات الشعرية

واللفظ والمعنى. وهو من الكتب التي تمثل النقد المغربي بامتياز وبخاصة النقد الجزائري القديم.

2- كتاب دلائل الإعجاز وكتاب وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ):

لقد أرسى عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز أركان علم المعاني، حيث يظم بحوثا كثيرة في هذا العلم، والفكرة التي يبنى عليها الكتاب تدور حول بلاغة الكلام، وأنها تكمن في النظم، كما أوضح أن اللغة ليست مجموعة ألفاظ وإنما مجموعة من العلاقات، " وهذا أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوربا".

أما كتاب أسرار البلاغة فيظم مجموعة دراسات تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع. هذا " ويحكم عبد القاهر في الدلائل والأسرار على كثير من الأدباء والشعراء أحكاما صادقة تدل على عدالة نقده، ويستدل بالكثير من أشعار المحدثين، ويعقد في الكثير بينها موازنات تدل على وقوفه على دقائق البيان".

كما يشير بعض النقاد أن النقد الموجود في الكتابين أدق نقد موضوعي تطبيقي وأعمقه.

3- كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ت(684 هـ):

هذا الكتاب يمزج بين البلاغة والنقد، وقد حققه التونسي محمد الحبيب بن الخوجة، وهو في أربعة أقسام ضاع الأول منها تماما، ولكن الأقسام المتبقية تظم فكرا نقدية لامعة ويتراءئ فيها حازم ناقدا ألمعيا قليل النظير.

القسم الثاني يتناول المعاني الشعرية والقسم الثالث يتناول النظم والقوانين البلاغية، أما القسم الرابع فموضوعه الطرق الشعرية والمنهاج يتوفر على مادة نقدية وبلاغية غزيرة قلما تعثر عليها في كتاب نقدي أو بلاغي آخر، والفكر النقدية الموجودة في الكتاب يمكن ذكرها فيما يلي: المعاني الشعرية، غموضها، تخييل الأغراض بالأوزان التخييل والمحاكاة.

ويعتبر الدكتور إحسان عباس أن كتاب المنهاج هو آخر صلة بين كتاب أرسطو والنقد العربي.

وفي الأخير هذه بيبليوغرافيا لمجموعة من المصنفات النقدية في المشرق والمغرب والأندلس إلا أن هناك بعض المصنفات. لم نذكرها لتفادي الإطالة، ولا بأس أن نذكرها فقط دون تفصيل.

فهناك فحولة الشعراء **للأصمعي** (ت210هـ)، والكامل في اللغة والأدب **للمبرد** (ت285هـ)، وأخبار أبي تمام **لأبي بكر الصولي** (ت335هـ)، وحلية المحاضرة **للحاتمي** (ت388هـ)، وكتاب الصناعتين **لأبي هلال العسكري** (ت395هـ)، وكتاب شرح ديوان الحماسة **للمرزوقي** (ت421هـ)، وسر الفصاحة **لابن سنان الخفاجي** (ت466هـ)، والمثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر **لابن الأثير** (ت637هـ) هذا في المشرق.

أما في المغرب فهناك كتاب الممتع في عمل الشعر وعمله **لعبد الكريم النهشلي** (ت403هـ)، وكتاب أعلام الكلام أو رسائل الانتقاد **لابن شرف القيرواني** (ت460هـ)، والمقدمة **لابن خلدون** (ت808هـ)، أما في الأندلس فنجد من الكتب التي تحمل آراء نقدية العقد الفريد لابن عبد ربه (ت328هـ)، ورسائل ابن حزم (ت456هـ)، التوابع والزوابع لابن شهيد(ت426هـ).

03:

النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته

ونماذج من نصوصه

0- تمهيد:

كنّا قد تكلمنا عن مفهوم النّقد وعن حمولته الدّلالية، لغةً واصطلاحا ورمزا، وأشرنا إلى موضوعه وتداخلاته مع بعض الحقول المجاورة، ثمّ قمنا بعرضٍ بيبليوغرافي موجز لأهم المصادر العربية القديمة للنّقد الأدبي (11 مصدرا في أزمان مختلفة) .. وفي هذه المحاضرة سنقوم بعرض أحد أنواع النّقد؛ بل أقدمها ظهورا عند العرب، وهو ممّا يصحُّ أن نطلق عليه: النّقد التأثّري أو النّقد الانطباعي.

1- مفهوم النّقد الانطباعي:

يتّفق أغلب الدّارسين على أنّه نقدٌ يصدر من شخص تحت تأثير الانطباعات الأولية السريعة الذوقية أو المزاج الخاص الفردي، ولم يصدر عن تفكير عميق وتأمل ودراسة متأنّية، كما يصفون أحكامه بأنّها جزئية عامة سريعة غير معللة (في الغالب)، ونجد الناقد فيها يصف النص ولا يبين الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

كما يتميز هذا النوع من النقد بالسذاجة والبساطة والمبالغة في إصدار الأحكام، لأنه مبني على الانفعال والتأثر والنظرة العجلى، ولم يبن على قواعد وأسس علمية صحيحة اتفق عليها العلماء.

ويذكر الباحث الجزائري إبراهيم صدقة في رسالته (التّأثرية والنّقد التأثري) أنّ المتتبع للنصوص النقدية العربية منذ النشأة يراها بسيطة، يعتمد الناقد فيها على ذوقه وانطباعه الفطري، بحيث يوجه نقده للشعر في كلمة أو جملة تجاه بيت أو عدة أبيات كانت قد تركت في نفسه أثرا معينا، لأن الانطباع البسيط فطري في الإنسان. (ص22).

2- مجالات النّقد الانطباعي:

نستطيع أن نتمثّل هذه المجالات من خلال الاطّلاع على النّصوص النّقدية في أمهات الكتب القديمة، ومن ثمّ نقوم بتصنيفها وفقا لوجهات نظر متعدّدة، وسنكتفي هنا بعرض أحدها –توخّيا للإيجاز-، من خلال ما اقترحه الدكتور مصطفى إبراهيم في كتابه (في النقد الأدبي القديم عند العرب (ص 30)):

2-1- النّقد اللغوي: وهو النّقد الموجّه إلى الخطأ في استعمال المفردات.

2-2- النّقد المعنوي: وهو النّقد الموجّهه لمعاني الألفاظ ودلالاتها، وخاصّة ما يتعلّق بالمبالغة.

2-3- النّقد العروضي: وهو النّقد الموجّه للعيوب الحاصلة في الشّعر من جانبه النّغمي والإيقاعي.

2-4- تقديم الشّعراء: وهو النّقد الحاصل في المفاضلة بين الشعراء.

3- نماذج نصّية من النّقد الانطباعي:

ذكرنا بإيجاز مجالات النقد، وفيما يلي أمثلة ونماذج عن كلّ مجال:

3-1- النّقد اللغوي:

نقل المرزباني في كتابه (الموشّح) عن أبي عبيدة قال: مرّ المسيّب بن عَلَس بمجلس بنى قيس بن ثعلبة فاستنشدوه، فأنشدهم:

ألا انعم صباحا أيّها الرّبع واسلم ... نحيّيك عن شحط وإن لم تَكَلَّمِ

فلما بلغ قوله:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ ادِّكَارِهِ ... بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِية مكدم

فقال طرفة -وهو صبيّ يلعب مع الصبيان :**استنوق الجمل**؛ فقال المسيب:

يا غلام، اذهب إلى أمك بمؤيدة؛ أى داهية.

والشّاهد هنا أنّ لفظة (الصيعرية) وهي مشتقة من الصّعر (ميلٌ في الوجه أو الخد) – انظر قوله تعالى: **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ .. (لقمان آ 18)**- ... هذه السّمة في استعمال العرب تقال عن الناقة دون الجمل، ولهذا عاب طرفة –بفطرته وبحسّه اللغوي- على الشّاعر هذا التّوظيف الخاطئ للكلمة.

3-2- النّقد المعنوي:

من الأمثلة على هذا النّوع من النّقد ما أورد ابن رشيق في (العمدة) في قوله: «ومن أبيات الغلو للقدماء قول مهلهل –من قصيدة أنشدها بعد أخذه لثأر أخيه-:

فَلَوْلاَ الرِّيْحُ أُسْمِعُ مَنْ بِحُجْرٍ... صليلَ البِيضِ تَقرعُ بالذكورِ

وقد قيل :إنه أكذب بيت قالته العرب، وبين حجر وهي قصبة اليمامة وبين مكان الوقعة عشرة أيام».

3-3- النّقد العروضي:

مثاله الشّهير عيبهم على النّابغة الذّبياني إقواءه في الشّعر .. وقد نقل المرزباني في (الموشّح) قصّة دالّة على ذلك: « كان النابغة يقول: إن فى شعرى لعاهة ما أقف عليها (وهذا يدلّ على إنكاره على من يعيب عليه)!، فلما قدم المدينة تغنّى فى شعره بقوله:

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسقاطَهُ ... فتناولته واتقتنا باليدِ

فمدت المغنية الدّال مخفوضة، وامتدّ بها الصوت منخفضا، ثم قالت (البيت الذي بعده):

بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ ... عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَطافَةِ يُعقَدُ

فمدت الدال مضمومة، وامتدّ بها الصوت مضموما؛ فتبيّن له عيب شعره، فكان يقول: وردت يثرب وفى شعرى بعض العهدة، فصدرت وأنا أشعر العرب».

3-4- تقديم الشّعراء:

يذكر الدكتور مصطفى إبراهيم أنّ من صور نقد الشّعر الذّاتية عند الجاهليين تقديمهم شاعرا على غيره تقديما مطلقا دون إبداء علة معقولة تسوغ التقديم أو تعزز الحكم، وتخرج به عن حيّز الذاتية وأثر الهوى إلى دائرة الموضوعية السديدة .. وشاهده قول لبيد –كما ورد في العمدة لابن رشيق- وقد سُئِل: من أشعر النّاس ؟ قال: الملك الضّليل، قيل: ثمّ من ؟ قال: الشّاب القتيل، قيل ثمّ من ؟ قال: الشّيخ أبو عقيل يعني نفسه.

05:

قضية الانتحال وتأصيل الشعر

تعتبر قضية الانتحال من القضايا النقدية الكبرى التي شغلت النقاد القدامى والمحدثين، وقد أشار إليها معظمهم، ولكن أول ناقد كتب في مسألة نحل الشعر العربي هو **ابن سلام الجمحي** في كتابه **طبقات فحول الشعراء**، وعلى الرغم من أن بعض معاصريه قد فطنوا إلى فكرة الشعر المصنوع الذي ينسب إلى الجاهلين والإسلاميين وليس لهما، ومن هؤلاء

خلف الأحمر والمفضل الضبي، إلا أن ابن سلام كان أشد اهتماما بها والتوسع في شرح جوانب النظرية وجميع ملابساتها التاريخية.[1]

والانتحال ليس مقصورا على العرب وحدهم كما يرى الدكتور طه حسين وإنما يتجاوزه إلى الأمتين اليونانية والرومانية، " فلن تكون الأمة العربية أول أمة نحل فيها الشعر نحلا وحمل على قدمائها كذبا وزورا، وإنما نحل الشعر في الأمة اليونانية والأمة الرومانية من قبل وحمل القدماء من شعرائهما"[2]. فما رأي النقاد القدامى في قضية الانتحال وتأصيل الشعر؟

أولا: ابن سلام وقضية الانتحال:

لقد تعرض ابن سلام في مقدمة كتابه إلى قضية الوضع أو صحة الشعر وصحة الرواية فأدرك أن الشعر العربي القديم المتداول على ألسنة الرواة، والمدون في كتب الأخبار والأنساب أغلبه موضوع من قبل الرواة على لسان الشعراء، لذلك قرر وضعه في موضع الشك، لأنه لم يؤخذ عن أهل البادية بالمشافهة.[3]

كما أرجع ابن سلام قضية الانتحال إلى عوامل ثلاثة يمكن أن نبينها فيما يلي:

1: العامل السياسي (عامل القبائل):

كان الشاعر في الجاهلية لسان قبيلته يدافع عنها وينتصر لها، وكان الهجاء سلاحا فتاكا كان يتهدد به الشاعر الخصوم، إلا أن الشعر لم يسجل، بل تناقله الرواة بين القبائل.

فلما جاء الإسلام ألف بين القلوب، وأصبح الشاعر يدافع عن دينه الجديد ويواجه الكفار، فأصبح شعراء الأنصار وشعراء قريش يتهاجون ويتفاخرون، وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومجيء الخلفاء وكثرة الفتوحات، انصرف الناس إلى الجهاد في سبيل الله، وكان عمر (رضي الله عنه) قد نهى عن رواية الشعر الذي تهاجى به المسلمون والمشركون أيام

---

[1] ينظر: قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان، ص 300.

[2] طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 2001، ص 17 ص 114.

[3] ينظر: حسين عبد الله شرف، النقد في العصر الوسيط و المصطلح في طبقات ابن سلام، دار الحداثة بيروت، ط، 1984، ص 96.

النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولكن بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) ظهرت العصبية من جديد في بني أمية، فأخذ شعراء الأنصار يفخرون بنصرتهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) ورد عليهم شعراء قريش.

وكانت القبائل العربية تحرص على أن يكون مجدها في الجاهلية رفيعا، فأخذت تبحث عن أشعارها التي قيلت في الجاهلية، فلم تجد أكثرها، لأن العرب لم تكن تسجل أشعارها، لاعتمادها على الرواة، وكان أكثر الرواة قد ماتوا في حروب الردة والفتوحات[4]، فما كان من هذه القبائل، إلا أن تبحث عن أشعارها التي قيلت في الجاهلية فلم تجد أكثرها.

وفي هذا يقول ابن سلام "... فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وأشعارهم، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم"[5].

كما يشير ابن سلام إلى أن قريشا كانت أكثر القبائل نحلا لأنها كانت أقلهم شعرا في الجاهلية، وفي ذلك يقول: "وقد نظرت قريش فإذا حظّها من الشعر قليل في الجاهلية، فاستكثرت منه في الإسلام"[6].

وهكذا فقد كان العامل السياسي المتمثل في العصبية القبلية له دور في انتحال الشعر.

2/ العامل الديني:

لقد كان للعامل الديني كبير الأثر في نحل الشعر وإضافته للجاهليين، ويذكر ابن سلام أن القصاص وأصحاب السير عندما حاولوا تفسير ما وجدوه مكتوبا في القرآن الكريم من أخبار الأمم البائدة كعاد وثمود، قد أضافوا شعرا إلى تبع وحمير وهذا شعر منحول، وقد وجه ابن سلام أصابع الاتهام إلى ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير والقصص.

---

[4] ينظر: محمد صايل حمدان و عبد المعطي نمر موسى ، قضايا النقد القديم دار الأمل، الأردن، ط1، 1990، ص 10، 11.

[5] ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، 2001، ص 39.

[6] المصدر نفسه، ص 50.

و"لقد تصدى ابن سلام بالنقد لما وضعه محمد بن إسحاق صاحب السيرة، من شعر مفتعل نسبه إلى من لم يقولوا الشعر"[7].

وقد ورد هذا في طبقاته، إذ يقول: "وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل الناس منه كل غثاء محمد ابن إسحاق... وكان من علماء الناس بالسير فقبل الناس منه الأشعار... ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعارا لنساء لم يقلن الشعر قط، ثم جاوز ذالك إلى عاد وثمود، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداة منذ ألوف من السنين"[8].ولله يقول:(وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى{50} وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى)[9]، وقال في عاد (فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ)[10].

هذا ويرد ابن سلام على ابن إسحاق ويسقط ما ورد في سيرته بأربعة أدلة:

أ – الدليل النقلي: وهو ما جاء في القرآن في الآيتين السابقتين، فيا ترى من حمل ذلك الشعر إلى عصر التدوين والله قد اهلك عادا وثمود؟

ب- دليل تاريخي: أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد وثمود، فكيف يظهر شعر بلغة لم تظهر بعد. فأول من تكلم العربية إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل جاء بعد عاد.

ج – ويذكر ابن سلام أن عادا من اليمن وأن لليمن لسانا غير هذا اللسان العربي.

د – يذكر ابن سلام أن القصائد الطوال ظهرت في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع.[11]

3 / عامل الرواة:

---

[7] حسين عبد الله شرف: النقد في العصر الوسيط والمصطلح في طبقات ابن سلام، ص 101.

[8] ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، ص28.

[9] النجم: 50، 51.

[10] الحاقة: 08.

[11] ينظر حسين عبد الله شرف: النقد في العصر الوسيط والمصطلح في طبقات ابن سلام، ص 101، 102، 103.

فطن **ابن سلام** إلى ما أصاب رواية الشعر الجاهلي من كثرة التزيد فيه والانتحال، ولكن قد يسهل على أهل العلم معرفته، أما الشعر الذي وضعه أهل البادية من أولاد الشعراء أو غير أولادهم فهو الذي يقع موضع الشك والإشكال. يقول ابن سلام:" وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال"[12].وعلى هذا شن ابن سلام هجوما على الرواة الذين أفسدوا الشعر، فمنهم **حماد الرواية** وكان زعيم أهل الكوفة في الرواية والحفظ، **وخلف الأحمر** وكان زعيم أهل البصرة في الرواية والحفظ، وكانا يحسنان رواية الشعر ويحفظانه، ويصلان إلى التقليد بحيث لا يستطيع أحد التمييز بين الرواية والانتحال.

فحمّاد يحدثنا عنه راوية من خيرة رواه الكوفة هو **المفضل الضبي** " أنه أفسد الشعر إفسادا لا يصلح بعد أبدا، فلما سئل عن سبب ذلك ألحن أم خطأ؟ قال " ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل. ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء، ولا يميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك ؟"[13].

ويحدث **ابن سلام** كذلك فيقول:" وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها **حماد الراوية**، وكان غير موثوق به، ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار"[14].

كما يوضح **ابن سلام** مسألة أخرى، وهي أن أبناء الشعراء كانوا ينحلون أشعار آبائهم، وذكر مثلا على ذلك: "عن أبي عبيدة أنه استنشد داوود بن تميم بن نويرة شعر أبيه فلاحظ أنه لما نفد شعر أبيه جعل يزيد أشعارا لم تعرف له"[15].

هذه هي مجمل الأسباب التي أدت إلى الانتحال في الشعر كما رأى **ابن سلام**، وقد سجلها في كتابه **طبقات فحول الشعراء**، إلا أنه يقر بصعوبة التمييز بين الصحيح والمنحول

---

[12] ابن سلام: طبقات الشعراء، ص 39.

[13] طه حسين: في الأدب الجاهلي ص 169. 170.

[14] ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، ص 40.

[15] شوقي ظيف: النقد، ص 52.

وبخاصة عندما يصدر الشعر من أهل البادية العارفين بالشعر وروايته، إلا أن **ابن سلام** اعتمد على رأى علماء عصره ومن سبقوه، وعلى منهجه وثقافته في كشف المنحول.

ثانيا: الانتحال عند الجاحظ:

تناول الجاحظ هذه القضية وحاول أن يتمم ما بدأه ابن سلام في التمييز بين الشعر الصحيح والمنحول، فاعتمد في ذلك على شهادة الرواة وعلى مبدأ تفاوت الشعر[16]، فيروي بيتا منسوبا لأوس بن حجر:

فَانْقَضّ كالدُّرِي يَتبَعُه نَقْعٌ يثور تَخالُه طَنَبا

ويقول معلقا عليه:" وهذا الشعر ليس لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس"[17]، ويضيف الجاحظ إلى أدلة ابن سلام دليلا داخليا نابعا من المعنى الذي يؤديه الشعر، وضرب مثلا على ذلك وهو قول الأفوه الأودي:

كَشِهابِ القَذفِ يرميكم به فارس في كفّه للحَرب نار

قال:" وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم وهو جاهلي، ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون "[18].

ويتضح من هذا أن الجاحظ حلل البيت داخليا واستنتج أن الشهب وهي رجم الشياطين جاء ذكرها في القرآن، فأين لهذا الجاهلي أن يعرف شيئا كهذا. ثم يكون الجاحظ في بعض الأحيان جادا في نقده إلا أن هذا النقد لا يخلو من السخرية، فمن ذلك تعليقه على بيتين في قول الشاعر:

لا تحسِبَنّ الموتَ موت البِلى إنما الموت سؤال الرجال

---

[16] ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 100.

[17] الجاحظ: الحيوان ،ج6،ص279.

[18] المصدر نفسه،ص280،281.

كِلَاهما مَوتٌ ولكنَّ ذا أفظَع من ذاك لذلِّ السُّؤال

ويعلق الجاحظ بقوله:"وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا ولولا أن أدخل في بعض الفتك (الحكم) لزعمت أن ابنه لا يقول شعرا أبدا"[19].

كما يروي الجاحظ أن هناك أناسا كانوا يهرجون أشعارا ويستسقطون من رواها لينسبوها إلى غيرهم، يقول:" وقد رأينا أناسا منهم يهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها، ولم أر ذلك قط إلا في رواية الشعر غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان ومكان.[20]

لقد واصل **الجاحظ** ما بدأه **ابن سلام**، وأضاف إلى أدلة الوضع والانتحال دليلا آخر، وهو الدليل الداخلي الذي يكمن في النص الشعري، ووازن بين البيت وما كان معروفا في الجاهلية، ثم يحكم على الشعر أن كان منقولا أم لا.

ثالثا: الآمدي والانتحال:

ونصل إلى القرن الرابع حيث يطالعنا **الآمدي** بحديثه عن الانتحال، فهو يتحقق من النصوص ونسبتها حيث يرجع إلى النسخ القديمة ويحقق أبيات الشعر.

ففي حديثه عن شعر **أبي تمام** يذكر أنه اطلع على النسخ العتيقة التي لم يطلع عليها غيره، يقول: " حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد **الصولي** وأضرابه "[21].

كما يملك **الآمدي** روح الناقد الخبير فكان نقده علميا " ينظر في صحة نسبة الشعر، وهو في ذلك تلميذ لابن سلام، ومن ثم نراه لا يقبل ما ينسب إلى الأعراب انتحالا "[22].

وفي الموازنة مثال دال على هذا حيث يتحدث **الآمدي** بمناسبة أبيات يدرسها عن التقسيم فيقول: "كان بعض شيوخ الأدب تعجبه التقسيمات في الشعر وكان مما يعجبه قول العباس بن الأحنف:

---

[19] المصدر نفسه،ج3،ص131.

[20]. الجاحظ: البيان والتبيين،تح عبدالسلام هارون،القاهرة،1960،ص35.

[21] الأمدي: الموازنة بين الطائيين، ج 1 ، تح السيد أحمد صقر،دار المعارف،مصر،ط4،1961،ص 215.

[22] محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص 104.

وِصَالُكُمْ هَجْرٌ وَحُبُّكُم قِلَى وَعَطْفُكُم صَدٌّ وَسِلْمُكم حَربُ

ويقول: هذا أحسن من تقسيمات **إقليدس**، وقال **أبو العباس ثعلب**: سمعت سيد العلماء يستحسنه يعني **ابن الأعرابي**، و نحو هذا ما أنشده **المبرد** لأعرابي وليس هو عندي من كلام الأعراب وهو بكلام المولدين أشبه:

وَأَدنُو فتُقصيني وأَبعد طالبا رِضاها فتعند التباعد من ذنبي

وشكواي تؤذيها وصبري يسوؤها وتجزع من بعدي وتنفر من قربي".[23]

وهكذا، **فالآمدي** واصل ما بدأه **ابن سلام** ومن بعده **الجاحظ** في تحقيق النصوص ونسبها لأصحابها بمنهج فيه روح النقد العلمي.

رابعا: ابن رشيق والانتحال:

أما **ابن رشيق** فيشير إشارة سريعة إلى قضية الانتحال عند حديثه عن السرقات، ويستعمل مصطلح الانتحال **كابن سلام** وسواه، من حيث ما عرف من استلحاق شاعر لبيت من شاعر آخر، وما عرف عن الانتحال حيث يذكر بيتين عرفا لجرير ثم يقول معلقا:" فإن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير.[24]

وخلاصة القول، أن **ابن سلام** أول ناقد اهتم بقضية الانتحال، ودرسها دراسة جيدة مبنية على أسس نقدية صحيحة، مثبتا وجودها بالأدلة والبراهين، والنقاد الذين جاؤوا من بعده، إنما أكملوا ما بدأه، ومنطلقهم في الدراسة ما وصل إليه **ابن سلام**.

---

[23] الأمدي: الموازنة، ج3، نقلا عن محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب،ص104،105 .

[24] ابن رشيق: العمدة، ج 2، ص 284.